بمناسبة ذكرى الاستقلال بروفيسور ميمونة ميرغني حمزة في ضيافة «نور المثاني»:

إن الاحتفال في ١/١ من بداية كل عام الذي نراه اليوم لا علاقة له بالاستقلال

كانت منطقة جنوب مصر قديماً تعرف باسم منطقة النوبة ولم يطلق عليها اسم السودان إلا في مطلع العام ١٨٣١م في فترة حكم محمد على باشا ،حيث إن السودان عرف من قديم الزمان ببسالة رجاله كذلك غناه بالعديد من الموارد الطبعية مثل الذهب وغيره مما جعله مستهدفاً منذ ذلك الوقت إلى حينه، وقد مر السودان بحقب تاريخية توالت على حكمه منذ القدم ابتداءً بالمماليك ثم الحكم التركي المصري الذي جاءت بعده دولة المهدية التي طهرت البلاد من خبس الحكم التركي والذي قضت عليه في ما بعد بريطانيا في الفترة التي عرفت بحقبة الحكم الثنائي إلى أن جاء الاستقلال الذي ننعم به حتى الأن ونحن إذ نحتفل في هذه الأيام بأعياد الاستقلال أبت أنفسنا إلا أن نشارك هذا الشعب العظيم بأن سردنا له مؤجزا عن تلك الحقب التي توالت على حكم السودان منذ القدم إلى يومنا هذا مع أستاذ التاريخ المعاصر البروفسير ميمونة ميرغنى حمزة التي حصلت على البكالريوس والماجستير والدكتوراة من جامعة الخرطوم ، وقد عملت بجامعة الخرطوم لفترة قصيرة ثم سافرت الى المملكة العربية السعودية لعدة سنوات والآن استاذ التاريخ المعاصر بجامعة النيلين . فإلى مضابط الحوار .

أتوقع من الحكومة القادمة الاهتمام بالمتخصصين في كافة المجالات

أجراه وأعده: كمال الدين بابكر - نهى حامد - تصوير: بهجة جبريل

أولاً – اهلا وسهلا بك بروفسير ميمونة في ضيافة نور المثاني

أهلاً ومرحباً بكم .

بداية حدثينا بإيجاز عن الحقب التاريخية التي توالت على حكم السودان ؟

تاريخ السودان القديم كان يعرف باسم النوبة فدخلت المسيحية وقامت لها ثلاث ممالك اثنتان في الشمال نوباطيا والمقرة وسوبا في الوسط منطقة سنار ثم إن دخول العرب يعتبر بداية التاريخ الحديث مع بداية الممالك الإسلامية الفونج وعاصمتها سنار، وقامت ممالك اخرى في الغرب وبعد سقوط دولة الفونج جاءت حقبة الحكم التركي المصري ، الذي جاء كجزء من ولايات الدولة العثمانية التي كانت تسيطر على مصر حيث غزا محمد علي السودان كممثل للسلطان العثماني حيث كانت الإدارة تركية في أغلبها وقد استمر لمدة (٦٠) سنة من العام ١٨٢١م إلى ١٨٨٥م ، وقد كانت فترة عصيبة على السودانيين حيث كانت أهداف محمد تكوين جيش من الجنود النوبيين حيث عرف الجندي النوبي ببسالته وكذلك التنقيب عن الذهب فكان ينوي إقامة إمبراطورية من مصر وتمتد جنوباً إلى منطقة النوبة وأيضاً ظهرت أسباب جانبية مثل تتبع المماليك الفارين بعد أن دبر لهم تلك المذبحة الشهيرة، فبدأت الحملة وقد أوكل قيادتها إلى ابنه إسماعيل وصهره الدفتردار الذي قضى على دولة الفونج واختاروا ود مدني عاصمة في بداية الوقت وفي عام ١٨٣١م قام خورشيد باشا بنقل العاصمة من ود مدني إلى الخرطوم، وحينها أصيب محمد علي بخيبة أمل بعد الفشل في التنقيب عن الذهب وما تعرضة له الجيوش، فقرر أن يسعى إلى تطوير السودان حيث اتجه إلى الزراعة فأدخل زراعة القطن في شرق السودان في منطقة طوكر كذلك قام بفتح المدارس .

بداية الدولة المهدية ؟

في عام ١٨٨٢م بدأت تظهر إرهاصات الثورة المهدية حيث وصل الحكم المصري إلى حالة من الضعف ومن النفور وكان واضحاً أنه في سبيله للانهيار فظهر المهدي الذي لم يسمِّ نفسه في البداية بالمهدي فكان هدفه التخلص من الحكم الأجنبي والعودة الإسلام وإلى الشريعة وقد حاول الحكمدار إقناعه بالتراجع عن ذلك وأرسل له الوفود ففشل في ذلك ، وقد أقام المهدي مركزاً في الجزيرة أبا ، فأرسل له رؤوف باشا حملة للقضاء عليه فهزمتها قوات المهدي . وفي ١٨٨٥م دخل المهدي إلى الخرطوم ونقل العاصمة إلى أم درمان ولم يعش كثيراً حيث توفي بعد ستة أشهر واستلم بعده الخلافة عبد الله التعايشي الذي أسس الدولة بعد ذلك .

كيف استطاعت بريطانيا العودة مرة أخرى إلى السودان ؟

منذ العام ١٨٨٥م كانت بريطانيا تخطط لدخول السودان فأرسلت غردون باشا للقضاء على المهدي فقتل غردون، فبدأت تخطط مرة أخرى باستمرار التوغل من ناحية الشرق إلى أن نجحت في العام ١٨٩٨م في معركة كرري التي قضت على جيش الخليفة عبد الله، فبدأت فترة الحكم الثنائي وفي حقيقة الأمر هو حكم بريطاني وليس ثنائياً حيث إن مصر لم يكن لديها أي دور في حكم السودان فالاتفاقية وضعها البريطانيون وعرضوها على مصر للتوقيع عليها بهدف التمويل وإيهامها بأنها مشاركة في الحكم ولم يمنحوا سواء وظيفة المأمور. ولما أنشئت كلية غردون كان الهدف تعليم السودانيين حتى يتولوا منصب المأمور ، ولكن بعد الحرب العالمية الأولى بدأ المصريون

أنجح الحكومات التي مرت على السودان حكومة الأزهري ولولا أن تآمرت عليها الأحزاب لدامت حتى الآن

بالمطالبة بالشراكة الحقيقية حيث رأوا أنهم مهمشون وحينها أيضا بدأ يفكر السودانيون في الاستقلال فكانت بداية الحركة الوطنية أيضاً بعد الحرب العالمية الأولى ١٩٢٠م بدات تظهر مقاومة للحكم البريطاني فنظروا إلى مصر من ناحية الجيرة والدين ومن ناحية أنهم أقرب لهم من البريطانيين فالاحتجاج في الأول كان ضد بريطانيا فظهرت جمعية الاتحاد بكتابة منشورات أثارت مخاوف بريطانيا ثم ظهرت بعدها جمعية اللواء الأبيض إلى أن قامت ثورة ١٩٢٤م التي كانت عبارة عن سلسلة من الأحداث لم تكن منظمة وانتهت عندما قتل السيد أستاك فتم سحب الجيش المصري وكل الموظفين وقطعت صلة مصر بالسودان ولكنها عادت مرة أخرى في ١٩٣٦م بشرط أن تكون تحت راية الحاكم العام الذي يحدد عدد المصريين بالجيش وغيره ، وصار هذا الوضع إلى الحرب العالمية الثانية وبعدها ظهر مؤتمر الخريجين فبدأ يطالب بحق الشعب السوداني في تقرير المصير فرفع مذكرة إلى الإدارة البريطانية بذلك. وعند قيام الثورة المصرية ١٩٥٢ بقيادة جمال عبد الناصر عمل على تسوية موضوع السودان والملاحظ أن كل الحكومات المصرية التي قامت كانت تصر بأن السيادة بالسودان لديها فرفض السودانيون هذا فبدؤوا بفكرة وحدة وادي النيل فوافق جمال عبد الناصر لأول مرة بحق تقرير المصير للسودانيين وتم توقيع اتفاقية بين بريطانيا ومصر عرفت باتفاقية الحكم الذاتي. وهي التي مهدت للاستقلال فأجريت انتخابات وتأسست فيها أول حكومية ديمقراطية في تاريخ السودان في ١٩٥٤م فاز بها الوطني الاتحادي وهو الذي شكل تلك الحكومة وكان إسماعيل الأزهري أول رئيس لها. حيث أعلن الاستقلال من داخل البرلمان في ١٩٥٥/١٢/١٩م واتفق على أن يتم رفع العلم في ١٩٥٦/١/١ وتم بعدها إنجاز باقي الاتفاقية من الحكم الذاتي والسودنة وسحب القوات البريطانية والمصرية من السودان . وواجهت حكومة الأزهري معارضات عدة فعقدة انتخابات فسقط فيها الأزهري من داخل البرلمان ولكن سرعان ما اندلعت مظاهرات في الشوارع تطالب بعودته فعقدت انتخابات مرة أخرى ففاز بها واستمرت لعدة أشهر فحصل تصويت مرة أخرى لاختلاف في الميزانية وللمرة الثانية صوتت الأحزاب ضد حكومة الأزهري فسقطت في هذه المرة وبقيت المعارضة وتم تشكيل حكومة عرفت بحكومة السيدين من الحزب الديمقراطي وحزب الأمة فرأس الحكومة الائتلافية عبد الله خليل فواجهته مشاكل كثيرة فقام باستدعاء الجيش وسلم السلطة إلى إبراهيم عبود في ١٩٥٨/١١/١٧م ففي بداية الأمر لم يكن عبود متحمساً لها ولكن بعد الضغط عليه وافق بشرط أن يكتب له بأن الحكومة قامت بتسليم السلطة للجيش فاستمر حكمة لمدة ستة أعوام حتى ١٩٦٤م فقامت ثورة أكتوبر ، فإذا قارنت فترة عبود مع نميري فكانوا متسامحين جداً على الرغم من وجود الكبت والاعتقالات وأحيانا إعدامات فهم كانوا متسامحين في طريقة تعاملهم مع الناس ولكن اتضح أن الناس يريدون حكماً ديمقراطياً لا حكماً عسكرياً، فثارت مشكلة الجنوب بسبب فرض عبود أسلمة الجنوب، فكانت هنالك ندوة في جامعة الخرطوم بسبب الجنوب فحاصرت الحكومة السكنات التي كانت فيها الندوة وأطلقت النار فاستشهد فيها أحمد القرشي طه الذي هو شعلة ثورة أكتوبر وأصيب بابكر عبد الحفيظ الذي مات بعد عدة أشهر فظهرت هيئة من الأحزاب والمستقلين والمثقفين عرفت بجبهة الهيئات وهي التي تولت تنظيم هذه الفترة وتم تكوين حكومة لتنظيم الانتخابات ولكن ظهرت وجاءت بسر الختم الخليفة لرئاستها فاستغل لعودة الأحزاب مرة أخرى . فثورة أكتوبر يحمد لها أنها عملت مؤتمر الدائرة المستديرة لحل مشكلة الجنوب ، ثم جاءت مرة أخرى الأحزاب تمارس الأساليب القديمة نفسها وفي ١٩٦٩م حصل الانقلاب الثاني انقلاب جعفر نميري إلى ١٩٨٥م فقامت انتفاضة رجب وتخلصوا من حكم نميري وترأسها سوار الدهب الذي سلم السلطة بعد سنة إلى حكومة المهدي التي جاءت بالانتخاب واستمرت إلى ١٩٨٩م حيث جاءت ثورة الإنقاذ .

أنموذج الاحتفال بالاستقلال يكون بتغيير زمن الاحتفال إلى ١٩ من ديسمبر وأن يتم فيه تكريم لكل أسر الرموز الوطنيه

أوردي لنا أهم الأحداث التاريخية في كل حقبة ؟

أولا حكومة الأزهري أتت بالاستقلال وأخلت البلاد من النفوذ الأجنبي ، أما حكومة عبود فقد اجتهدت في توسيع المناقل الزراعة ، كما شهدت فترة نميري تطوراً اقتصادياً كبيراً حيث استعان بخبراء الاقتصاد وأقام مشاريع اقتصادية عديدة ، وأخيراً فإن أهم الأحداث التي شهدتها ثورة الإنقاذ هي ثورة التعليم حيث بلغ عدد الجامعات الآن ٢٦ جامعة فضلاً عن مدارس الأساس والثانوي .

ما ابرز الرموز التي شاركت في الاستقلال ؟

هنالك شخصيات عديدة شاركة في استقلال البلاد منها محمد أحمد المحجوب وأمين التوم وإسماعيل الأزهري والسيد علي الميرغني وحسين حمد ويحيى الفضل والدرديري وحسن الطاهر زروق وغيرهم .

برأيك ما أنجح الحكومات التي مرت على السودان ؟

هى حكومة الأزهري ولولا أن تآمرت عليها الأحزاب لدامت حتى الآن .

كيف يمكن أن نغرس حب الوطن في نفوس الشباب اليوم ؟

بإرجاع الاحتفال في تاريخه ١٢/١٩ وتكريم الرموز الوطنية وليس في يوم ١/١ .

الاحتفال باعياد الاستقلال المقام اليوم هل يرضي طموحك ؟

قطعاً لا يرضي طموحي.

نحتفل عند الساعة اصفار شباباً وشابات واطفالاً وأسراً في الطرقات والنوادي وما شابه ذلك فما رأيك في ذلك وهل هو من تقاليد ديننا الإسلامي ؟

دعني أقل إن الاحتفال في ١/١ من بداية العام الذي نراه اليوم لا علاقة له بالاستقلال فأنا في بعض الأعوام السابقة صادفت أعياد الاستقلال بمدينة بورتسودان فأتى إليها جمهور خرافي وغناء وتصفيق وغيره ليس احتفالاً بالاستقلال ولكن برأس السنة وهذا أصلاً لا يشبه عاداتنا نحن المسلمين خاصة بما يظهر فيه من مظاهر .

نريد منك انموزجا ً للاحتفال بالاستقلال يتماشى مع تقاليد ديننا الإسلامي ؟

أولاً يغير زمن الاحتفال كما ذكر إلى تاريخه ١٩ ديسمبر وأن يتم فيه تكريم لكل أسر الرموز الوطنية التي شاركت في الاستقلال فهنالك أسماء لها تاريخ ناصع لم يعرفها معظم الشعب فيجب أن يعرفوا وأن يكون يوماً وطنياً بأن تبث كل وسائل الإعلام الأناشيد الوطنية والحماسية وأن تترك هذه العادات التي لا تشبهنا.

ماذا تتوقعين من الحكومة القادمة ؟

أن يكون الاهتمام بالمتخصصين في كافة المجالات لأن لدينا عنصراً إنسانياً يتميز بالعديد من المواهب يجب أن تستفيد الدولة منه حتى ننهض ببلدنا إلى الأمام.

كلمة أخيرة ؟

أتمنى أن يتقدم السودان إلى الأمام وأن يستقل كل موارده وأن ينعم بالأمن والسلام .